ISSN : 2335-1071 ردمد:

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون -تيارت

فصل الخطاب

ملف العدد:

الشعرية و تلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي
جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر انسجام الخطاب القصصي القرآني
حوارية البلاغة بين التخييل و الإقناع لدى حازم القرطاجني
النفي البلاغي في القرآن الكريم
التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم

ديسمبر 2016

العدد 16
المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

فصل الخطاب
العدد السادس عشر
ديسمبر 2016 Décembre
Revue n°16
Faslo El-Khitab

ISSN: 2335-1071

Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Décembre 2016

Revue périodique a vocation scientifique, traitant des domaines de la critique littéraire, la languistique et la rhétorique en langues arabe et étranger

Revue N 16
Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد السادس عشر

ديسمبر 2016

ردمد ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون – تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدث المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.

2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .

4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط **(Traditional Arabic)** قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط **Times New Roman** قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسيمات والأشكال فتكون صورا **IMAGE** .

5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .

6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترِد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصفيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون ـ تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود امحمد

د. سبع بلمرسلي

د. درويش أحمد

د. بوعرعارة محمد

د. غربي بكاي

د. قوتال فضيلة

د. كراش بخولة

د. بن فريحة جيلالي

د.معازيز بوبكر

د.عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد ـ جامعة تيارت

أ.د. فيدوح عبد القادر ـ البحرين

أ.د. مرتاض عبد الجليل ـ جامعة تلمسان

أ.د. خلف الجردات ـ المملكة الأردنية

أ.د. العشي عبد الله ـ جامعة باتنة

أ.د. بوحسن أحمد ـ المغرب

أ.د. حسن نعمي ـ المملكة العربية السعودية

أ.د. عباس محمد ـ جامعة تلمسان

أ.د. بشير بويجرة محمد ـ جامعة وهران

أ.د. آمنة بلعلى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. توفيق بن عامر ـ تونس

أ.د. سطمبول الناصر ـ جامعة وهران

أ.د. حسن البنداري ـ عين شمس ـ القاهرة

أ.د. خميسي حميدي ـ جامعة الجزائر

أ.د. دراوش مصطفى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. كواري مبروك ـ جامعة بشار

الفهـــــــرس

كلمة رئيس التحرير.....05
-الشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي،
تشظّي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق(سطمبول ناصر).....07
- جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر
انسجام الخطاب القصصي القرآني(بن يمينة رشيد).....25
- الانفصال في العربيّة، "الضّمير أُنموذجًا"(نافع سلمان جاسم).....41
- حوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني(آيت حمدوش فريدة).....63
- مفهوم النظم عند المعتزلة،
الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني(دحماني شيخ).....71
- منهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين(طويل مصطفى)..... 89
- التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم(بختي العياشي).....105
- النفي البلاغي في القرآن الكريم(ميسومي نور الهدى).....123
- الحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني:
الإشكاليات والرهانات(القحطاني فيصل محسن).....143
- تعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية
الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية (حاج هني محمد/ روقاب جميلة).....159
- الأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني(حيمور إسماعيل).....173
- الملامح التّداولية لأسلوب التّأكيد في التّراث النّحوي العربي
مقاربة سيّاقيّة من خلال نظرية الأفعال الكلاميّة(بومسحة العربي).....189
- المرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التّراث وجزر الحداثة(شادلي عمر).....201
- علم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه(أحمد الحاج أنيسة).....221
- بلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجا(حميدي شريفة).....235
- دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر(زرارقة الوكال).....243
- الشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد(يعقوبي قداوية).....253
- سؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"(بوشيبة عبد السلام).....269
- حضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس الغريبة"(بوشاقور مليكة).....279
- التراث والنص الروائي العربي(العرابي محمد).....291
- انفتاحيه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"(مسك خيرة).....299
- لغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة(بختو عبد الحميد).....315

كلمة رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أما قبل .....

مع طموح متفلت من رقابة الواقع والمحيط، يتجاوز العراقيل والمثبطات، وإرادة تعبد الطريق وتذلل الصعاب، وطاقم أغلبه شباب متطلع لرؤية أفضل، تشرئب روحه إلى المعرفة في أقصى مداها، وفي مختلف مناحيها، قد يهون عليه ركام المعوقات والتعب وتردي ما صارت إليه الجامعة، وهو الذي عايش أوج عنفوانها ومع كل ذلك فيستنهض الأمل من جديد ويشحذ الروح والهمة معا، فتولد طاقة أخرى ترمم ما انصدع، وتوصل ما انقطع في حيوية متوشحة بالجسارة الروحية، والتحدي المتسم بالوقار.

وذلك ما يلاحظه الرائي المتأمل أو المتعجل من أسراب الطلبة والطالبات وهي تفد على قاعات مخبر الخطاب الحجاجي والمورد العذب كثير القصاد كما قال الشاعر قديما، وهو ما يزيد الثقة بالنفس، ويزرع الثقة والقبول، ثم احتساب كل ذلك عند الله تعالى .

وذلك ما دأبت عليه نخبة هذا المخبر، من خفض الجناح، أو التقرب إلى طلبة الدكتوراه أو الماستر أو حتى الليسانس، مما رغب هؤلاء الطلبة إلى الاندماج فرادى ومجموعات في هذا المخبر إما بالاستشارة أو اقتناء الكتب، فترى القاعة الكبرى كحديقة غناء وقد فاح أريجها، وباح عبقها. فتستقطب الفراشات والنحل، إما للاستجمام أو لصنع العسل، وذلك هو شأن مجلة فصل الخطاب، لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي، في استقطابها للدراسات الجادة والواعدة في شتى أصناف المعرفة، تراثية كانت أم حداثية، ولا عبرة عندنا لهذا التصنيف الزمني، وإنما العبرة للمعرفة وحدها التي تنبني على التراكم، فلا قيمة للحاضر إلا باعتباره إفرازا للماضي، ولا قيمة لهذا الماضي إلا اذا كان حاضرا في وعينا ووجداننا حضورا يفاعل الراهن تفاعلا منتجا .

وهذا الوعي بهذه الإشكالات المتداخلة هو ما سيلاحظه القارئ في هذه المقالات المتنوعة كالشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي، تشظّي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق، وجهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر، وانسجام الخطاب القصصي القرآني، والانفصال في العربيّة، "الضّمير أُنموذجًا"، وحوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني، ومفهوم النظم عند المعتزلة، الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني، ومنهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين، والنفي البلاغي في القرآن الكريم، والأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني، والملامح التّداولية لأسلوب التّأكيد في التّراث النّحوي العربي مقاربة سيّاقيّة من خلال نظرية الأفعال الكلاميّة، والمرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التّراث وجزر الحداثة، وعلم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه، وبلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجا، ودلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، والشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد، وسؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"، وحضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس

الغريبة"، وانفتاحيه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"، ولغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة،

وإيمانا منا بانفتاح المعرفة، مع اعترافنا بمفهوم التخصص الذي دأب عليه البحث الأكاديمي في صرامته ، ومع كل ذلك تظل المجلة وفية لخطها الذي ارتضته تخصصا، مقيدا ومفتوحا في الآن ذاته. هذا التخصص التي هي مشروطة بوجوده تحديدا في الدراسات الحجاجية باعتبارها مدار المخبر ، وعليها بُني وبها يستمر، ومنها ينطلق وإليها يعود. وهو وفاء لشرعية عنوانه، ولذلك جاءت دراسات الحجاج في هذه المقاربات كالحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني: الإشكاليات والرهانات، وتعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية، والتمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم.

وعلى كثرة ما يصلنا من مقالات كثيرة في التخصصات المختلفة، وعلى تفاوت كفاءتها العلمية فإن الفيصل الوحيد هو التحكيم السري، ولم تعد مجلة فصل الخطاب حكرا على أساتذة الجزائر فقد وصل صداها الى المغرب والامارات والسعودية وقطر والعراق وحتى بلغات أخرى وعلى هذا فإن طاقمها يرحب بكل الدراسات الجادة وسوف تبقى وفية لخطها آملين أن يزيدنا الله مددا بلا عدد .....

ولله الفضل والمنة

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

النفي البلاغي في القرآن الكريم

الطالبة: ميسومي نور الهدى — إشراف الأستاذ الدكتور: زروقي عبد القادر

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر — جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

يُقَدِّم أسلوب النفي في الخطاب القرآني بتراكيبه ودلالاته ولوحاته الفنية صورةً متكاملة عن المعنى في النص القرآني، والّذي يعتمد الجمل المنفية المختارة بدقّة، لتمييز تفصيلات الواقعة المحكية في مجملها، فللنفي البلاغي في النص القرآني قدرٌ كبير في تَغَيُّر وجهة المعاني وتَبَدُّل الدلالات، حيث أن التحوُّل الدلالي لِمُركب النفي العامل في التعبيرية بالاستفهام يجعل لكل معنى من المعاني المطروقة تركيبا يحقِّق المقصد البلاغي له، فاندماج دلالة النفي مع دلالة الاستفهام تُولِّد أسلوبا ذا وظيفة متميِّزة، لأنَّ الاستفهام يُلقِي بدلالة التساؤل والحيرة، فيعمل النفي على احتضان هذه المعالم واكتنافها ليبلغ بها عالم القرار. كما أن لتعبيرية النفي بالاستثناء دورًا بارزًا حيث يستطيع بنوعيه الحصر والقصر النفاذ إلى عقل ووجدان السامع في آن واحد معًا، كما له القدرة على حمل ذهن المتلقي على تصوير الموقف واستشعاره وما فيه من معان.

الكلمات المفتاحية: النفي البلاغي، القرآن الكريم، التأثير، الإنكار، الاستفهام، التقرير، الخطاب، الدلالة.

The Rhetoric Negation in the Holy Qur'an

Abstract

The negative form in the Qur'anic speech presents a complete picture of the meaning. It carefully selects negative sentences for a better presentation of the facts. The negative form can change the meaning and the semantics in a rhetoric way, for example negation in the form of a question. The combination of these two produces a unique style, where interrogation holds the question and negation answers it. The same thing can be found in negation and confinement. Confinement plays an important role in making the audient understanding and picturing the situation in a better way.

Keywords: Negation, semantics, rhetoric, confinement, picturing

1- تعبيرية النفي بالاستفهام:

تعمل تعبيرية النفي في القرآن الكريم في عدّة سياقات كالاستفهام والاستثناء والشرط والقَسَم، والتوكيد، وهذا في النص القرآني الواحد، أو ربما في الآية الواحدة، والّذي يَهمّنا في

تاريخ تسليم البحث: 16ديسمبر 2015.

تاريخ قبول البحث: 06 سبتمبر 2016.

هذا البحث هو تقاطع النفي مع الاستفهام في الموضع الواحد أو في الآية نفسها، ونجد هذا النوع من التعبير يتكرّر كثيراً في الخطاب القرآني، والمُخَاطِب في حديثه يجعل من تقنية التحوّل بالنفي وسيلة لتحويل المعاني وامتداد العبارات لدفع فكرة أو أفكار راسخة في ذهن المتلقي أو الخصم، فيستحضر أساليب عدة تتضافر مع أدوات مختلفة في سياق معيّن لتحقيق التأثير، وإبراز الحجّة الدامغة. فـ«عندما تكون التراكيب على تنوّع مواردها راجعة إلى منوال واحد أو منوالات متعدّدة، بتعدّد أساليب التعبير الغالبة...فإنَّ لحمة مقاليّة مخصوصة تحدث بين التركيب والتعبير، وتتحوّل بمقتضاها العلاقة بينها من علاقة عضوية اعتباطية إلى علاقة طبيعية مبرّرة تعكس لحمة مقامية»[1].

ولَمَّا كانت تعبيرية النفي في القرآن الكريم تعمل في عدّة سياقات كالاستفهام والاستثناء، فإنّنا سنحاول أن ندرس هذا الخطاب حسب ما تقتضيه قراءة النّص.وقبل البحث في الآيات الّتي اقترن فيها النفي بالاستفهام علينا أن نلقي نظرة على بعض أدوات الاستفهام المستخدمة بكثرة في الخطاب القرآني كالهمزة و(هل) و(ما) وعلينا أن نعرف الجوانب النحوية والبلاغية لمعاني هذه الأدوات:

1-هل: يطلب بها معرفة مضمون الجملة، لأن السائل يجهل العلم بها، قال الزركشي: «هَلْ لِلِاسْتِفْهَامِ، قِيلَ: وَلَا يَكُونُ الْمُسْتَفْهِمُ مَعَهَا إِلَّا فِيمَا لَا ظَنَّ لَهُ فِيهِ الْبَتَّةَ بِخِلَافِ الْهَمْزَةِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ إِثْبَاتٌ فَإِذَا قُلْتَ أَعِنْدَكَ زَيْدٌ؟ فَقَدْ هَجَسَ فِي نَفْسِكَ أَنَّهُ عِنْدَهُ فَأَرَدْتَ أَنْ تَسْتَثْبِتَهُ بِخِلَافِ هَلْ حَكَاهُ ابْنُ الدَّهَّانِ»[2].

فهذا الاستفهام الحقيقي بما يجهله السائل عن طريق أداة الاستفهام "هل" قد يُرادُ به النَّفي «ولذلكَ دَخَلَتْ عَلى الخبر بعدَها "إلاَّ" في نحو: {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلاَّ الإِحْسَانُ} [الرحمن:60]» [3].

2- ما: اسم استفهام لغير العاقل، وعن حقيقة الشيء أو صفته سواء أكان هذا الشيء عاقلا أم غير عاقل، نحو: ما فعلت؟ [4]، ومن أمثلة استعمالها لغير العاقل في القرآن الكريم: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ}[طه: 17].والذين قالوا باستعمالها للعاقل استدلوا بقول الله تعالى: {وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ}[الشعراء: 23]، يقول الزركشي: «وجوّز بعض النحويين أن يسأل بها عن أعيان من يعقل أيضا حكاه الراغب فإن كان مأخذه قوله تعالى عن فرعون: {وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ}فإنما هو سؤال عن الصفة لأن الرب هو المالك والملك صفة ولهذا أجابه موسى بالصفات ويحتمل أن ما سؤال عن ماهية الشيء ولا يمكن ذلك في حق الله تعالى فأجابه موسى تنبيها على صواب السؤال»[5].

3- **الهمزة**: تأتي لطلب التصور والتصديق، بينما "هل" تأتي للتصوُّر خاصة[6]، والهمزة تُوَظف كثيرا في الخطاب لأهميتها وقوة تأثيرها.

والمستفهم عنه ضربان: تصديق وتصوّر: فالتصديق هو طلب معرفة النسبة (الحكم) بين المسند والمسند إليه، ثبوتاً أو نفياً، أي طلب معرفة ثبوت أمر لأمر أو نفيه عنه، كقوله تعالى: {قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُم} [طه: 71]، والتصوّر: هو طلب معرفة شيء آخر غير النسبة، أي غير الثبوت والانتفاء مثل قوله تعالى: {قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُون} [النمل: 41] [7]. والاستفهام قد يكون حقيقياً وقد يؤدي معاني مختلفة حسب السياق، فبعض أدواته قد يُطرح بها لسؤال عند الشكّ أو التردّد في الجواب وعدم التأكّد، والهمزة خاصة إذا كان بعدها فعل فيكون الشكّ في الفعل نفسه[8]، فيُقصَد بالسؤال التصديق أو التصوّر.

فعند الشّك في ثبوت الفعل للفاعل أو نفيه عنه يكون السؤال بالهمزة للتصديق، ويكون الجواب بـ(نعم) عند الإثبات أو بـ(لا) عند النفي «فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: أفعلت؟ ، فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده.

وإذا قلت: "أأنت فعلت؟ "، فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه.ومثال ذلك أنك تقول: "أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ ..."أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟ "، تبدأ في هذا ونحوه بالفعل، لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه، لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه»[9].

كما أنَّ الاستفهام بالهمزة خاصة يكون للتقرير أو الإنكار، كقوله تعالى: {قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيم} [الأنبياء: 62]، فأرادوا بسؤالهم هذا إقراره عليه السلام بحدوث الفعل منه، وليس سؤالهم عن وقوع الفعل لأنّه ظاهر، لذلك قدّموا الاسم على الفعل، ولو كان التقرير بالفعل لَكَانَ الجوابُ: فَعَلْتُ، أو لمْ أفعل[10].

ويتقاطع الاستفهام مع النفي ويصنع خطاباً قويّا فيه من الشدّة والتأثير ما فيه إذا كان استفهاما إنكارياً مثل قوله تعالى: {أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيما} [الإسراء: 40]، وقوله تعالى: {أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ}[الصافات:153] فالخطاب موجّه للمشركين الذين قالوا «الملائكة بنات الله» والهمزة للإنكار، «يعني: أفخصّكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتخذ أدونهم وهي البنات؟ وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم»[11].

ويفسّر فخر الدين الرازي هذا الزعم «أنهم اعتقدوا أن الولد قسمان، فأشرف القسمين البنون، وأخسهما البنات. ثم إنهم أثبتوا البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية عجزهم ونقصهم وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له والجلال الذي لا غاية له، وذلك يدل على نهاية جهل القائل بهذا القول، قال النحويون هذه الهمزة همزة تدل على الإنكار على صيغة السؤال عن مذهب ظاهر الفساد لا جواب لصاحبه إلا بما فيه أعظم الفضيحة»[12].

والفاء تقع بعد همزة الاستفهام وتكون للتفريع[13] «فجملة أفأصفاكم ربكم بالبنين إلى آخرها متفرعة على جملة {وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ} [الإسراء: 39] تفريعا على النهي كما بيناه باعتبار أن المنهي عنه مشتمل عمومه على هذا النوع الخاص الجدير بتخصيصه بالإنكار، وهو شبيه ببدل البعض. فالفاء للتفريع وحقها أن تقع في أول جملتها ولكن أخرها لأن للاستفهام الصدر في أسلوب الكلام العربي. وهذا هو الوجه الحسن في موقع حروف العطف مع همزة الاستفهام»[14].

وخلاصة القول أنّ هذا الاستفهام معناه الإنكار الإبطالي وهذا يقتضي أن ما بعده غير واقع وأن مدعيه كاذب، ومعناه التقريع والتوبيخ والنفي أيضا أي لم يفعل ذلك.

وكثيرا ما نجد هذا النوع من الاستفهام الإنكاري أو الإبطالي يتكرّر في القرآن الكريم لما فيه من تقريع وتوبيخ وتبكيت لأهل الغواية والضلال، وهذا تمثّل في حرف استفهام واحد وهو الهمزة على سبيل الذكر لا الحصر، ولا يسع المقام لإجمال وحصر كلّ الجمل القرآنية الّتي ورد فيها هذا النوع من الخطاب، لذا سنكتفي بالإشارة إلى بعض الجمل الّتي التقى فيها الاستفهام مع النفي، ونبقى مع الهمزة لِما تؤديه من قلب وتحويل المعنى من اتجاه إلى اتجاه آخر، إماّ لتقرير أمر ما أو لإنكاره جملة وتفصيلاً؛ ففي قوله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: 76].

يرى أبو السعود (ت 982هـ) أن الاستفهام في قوله تعالى: "أفلا تعقلون" من تمام التوبيخ والعتابِ، والفاءُ للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام، أي حين يفضي اليهود إلى بعضهم بعد حوارهم مع المسلمين يتلاومون بقولهم: أَلاَ تلاحظونَ فلا تعقِلون هذا الخطأَ الفاحشَ أو شيئاً من الأشياء التي من جملتها هذا، فالمنْكرُ عدمُ التعقُّل ابتداءً أو أتفعلون ذلك فلا تعقلون بُطلانَه مع وضوحه حتى تحتاجون إلى التنبيه عليه فالمنكرُ حينئذ عدمُ التعقل بعد الفعل هذا[15].

الواضح من هذا أن المزج اللغوي لأداة الاستفهام وأداة النفي ولَّد دلالة جديدة للسياق تختلف عن الدلالة التي يلقي بها الاستفهام منفردا أو النفي منفردا حيث عملت همزة الاستفهام على زيادة الإنكار والتوبيخ وعملت "لا" النافية على نفي التعقل، فسُبِق النفي بالاستفهام للتنبيه على شدة الإنكار.

وحَمَل الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) الاستفهام مع حرف العطف فِي قَوْلِهِ: أفلا تعقلون، على الإنكار والتوبيخ أو التقرير والتوبيخ إذ يصح التقاء التقرير والتوبيخ[16].والملاحظ أن استخدام المضارع "يعقلون" كون الإنكار والتوبيخ يُعنى به المخاطبون فصورة الخطاب هي التي عدلت بالزمن إلى المضارع بدل الغائب، وامتزاج الاستفهام والنفي منح الخطاب قيمة خاصة انعكست على تركيب الجملة، ذاك أن هذا الامتزاج الموسع للتراكيب عمل على توسيع الدلالة، فالاستفهام الممتزج بالنفي "ألا" جعل التركيب يحتمل دلالة الإنكار والتوبيخ الواضحة من السياق، لأن اليهود يأمرون بعضهم بالاحتكام إلى العقل عند محاورة المسلمين ليَعصِموا أنفسهم من الانكشاف تدليسا منهم وادعاء بأنهم الأحق، فتوبيخهم كان لعدم استخدام جماعة منهم المكر والخداع العقلي ما سوف يؤدي إلى قيام الحجة عليهم، كأنهم يبحثون عن طريقة للخلاص من ذلك.

كما يحمل الخطاب دلالة التقرير باستمرار بعض من اليهود محادثة المسلمين بما يعلمونه دون ترجيح النظر في إقامة الحجة عليهم من خلال ذلك، فكانت المطالبة بتعقلهم في هذه المحادثة بما يُرضِي أهواءهم وهذا ما جعل الاستفهام التوبيخي يُتبَع بالتقرير لِنَفهَم من ذلك أن دلالة الاستفهام تتعدد بحسب التوجهات الخطابية.

إذ يرى صاحب دلالات التراكيب أننا لا نستطيع في كثير من الصور ضبط معنى الاستفهام في شيء محدد، ما يدفعنا إلى ذكر جملة معان حول الاستفهام الواحد فنقول مثلا في قوله تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُون} [العنكبوت: 2]، أنه إنكار وتوبيخ وعتاب وتعجب، وهذا التعدد دليل على ما نريد أن نؤكده من أن المعنى الذي يفيده الاستفهام خفي وسانح ومتفلت[17].فدلالة الاستفهام المحمولة في جملة "أفلا تعقلون" على الإنكار التوبيخي أو التقرير التوبيخي ترجع إلى دلالة الخطاب الثرية بالمعاني.

وقد يحمل الاستفهام التقريري دلالة التيئيس لحمل المخاطب على اليأس من نقض المعاني المقررة كقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}[الأعراف:172].

فقوله تعالى {ألست بربكم} على إرادة القول أي قائلا ألست بربكم ومالك أمركم ومربيكم على الإطلاق من غير أن يكون لأحد مدخل في شأن من شئونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى، وجملة {قالوا} استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل {قالوا بلى شهدنا} أي على أنفسنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك[18]، فيؤتى بالاستفهام داخلا على نفي الشيء المقرر عليه، حتى إذا كانت له شبهة فيه ارتبك وتلعثم فقوله: "وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم"، يعني أن حال هؤلاء الإنس والجن في التمرد على الله ونبذ العمل الصالح والإعراض عن الإيمان حال من لم يطرق سمعه أمر بمعروف أو نهي عن منكر، فسلك ذلك مقام اختبار مقدار تمكن المسئول المقرر من اليقين في المقرر عليه[19].

الواضح من الاستفهام "ألست" هو تقرير المعنى الحق السامي بربوبية الله عز وجل، التي حاول كل من الإنس والجن الإعراض عنها بل ونسبتها إلى غيره تعالى، ليجدوا أنفسهم في هذه الشهادة قائمين نحو توكيد هذه الصفة الحقة لله عز وجل، فكان السؤال عن نفي اتخاذهم الله ربا واحدا لأن حال الإنس والجن حال من يُعتقَد به أن يجيب بالنفي، فكان الاستفهام التقريري "ألست بربكم" الداخل على نفي ربوبية الله عز وجل المراد إقرارها، أكثر قطعا في الحكم من خلال الإثبات بالجواب "بلى شهدنا".

فشهادة بني آدم على ربوبية الله عز وجل توكيد على ضلال من اتخذ غير الله ربا، واستخدام ضمير التاء متصلا "ألست" يدل على زيادة التقرير والتأكيد للمعنى، فجملة "ألست بربكم" تدل على توفر جواب معين من بني آدم يحاول نقض ربوبية الله بشدة، فكان الجواب: "بلى" حجة على من ادعى غير ذلك، وهذه الشهادة من قبل كبار بني آدم تشير ضمنا إلى كثرة من كفر منهم وتشير إلى تلك الصورة التي يتحول فيها الإنسان من فطرة التوحيد إلى عقيدة الكفر لِتُوقِعَهُ ضحية الضلال الذي يُورِثه العذاب، ويبدو من خلال تلك الصورة أن شهادة جماعة من بني آدم بربوبية الله قد أدى إلى حصار المكذبين فلا عذر لهم، كما تدل على بلوغ المقرين مجدا ينجيهم من غضب الله الذي تقاعس غيرهم عن بلوغه.

وكثير من المسائل التي تحمل دلالة قدرة الله وقوته في القرآن الكريم جاء إقرارها باستخدام "أليس" لما تحمله من تيئيس للمكذبين كقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[الزمر: 36]، فالاستفهام في قوله "أليس الله بكاف عبده" إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد

بالعبد إما رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا وكاف عبده صيغة المغالبة إما من الكفاية لإفادة المبالغة فيها وإما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك إياها[20].

وفي هذه الجملة يَكْمُن سر التعبيرية في جملة "أليس الله بكاف عبده" فالاستفهام الإنكاري يفيد من أول وهلة حماية الله عز وجل وكفايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل المؤمنين ما يمنح تأثيرا وجدانيا في المتلقي، فنفي المعاني المطروحة من إصابة الرسول بالضر على سبيل التأكيد والتقرير يمنح المعنى حيوية تزيد في إقناع المتلقي، وتأكيد حصانة الرسول صلى الله عليه وسلم عمل على تأكيدها اللفظ "كاف" الذي يفيد دلالة المبالغة في حفظ الله له، ليجعل حزب الكفار في صورة الانكسار والخسارة فمن لا يكفيه الله لا كافي له وفي ذلك تيئيس من الاعتصام بغير الله عز وجل.

فالملاحظ من هذه التحليلات أن لأدوات النفي دورا فعالا وقيما في تحديد وجهة الخطاب والمعنى الذي يُلقي به حيث « أن في أسلوب الاستفهام الإثباتي أغراضا بيانية للمتكلم والمخاطب معا، فبقدر ما يدل على ثقة من المتكلم بنفسه فيما قاله، يدل على إحراج المخاطب، لأنك بأسلوب الاستفهام تترقب منه جوابا، وهو سيفكر، ويراجع نفسه، وسيجد نفسه بعد هذه المراجعة، وبعد هذا التفكير في ضيق وحرج، لا يحير معهما جوابا، وليس كذلك أسلوب النفي الصريح، إذ باستطاعته أن يفر من الجواب ويصمت، لذلك كثر في كتاب الله تعالى»[21].

بخلاف استفهام النفي الذي يتميز بقدرته على تصوير الحالة النفسية للمتكلم لأن السر التعبيري في وضع الاستفهام مكان النفي أن المتكلم لا يريد أن يفيد مراده من أول وهلة، ولكن يريد أن ينبه السامع في صورة سؤال ويدعوه بأن يبحث عن الجواب حتى يصل بنفسه، ما يوحي بثقة المتكلم وأنه مهما بحث السامع ونقب فلن يكون أمامه سبيل إلا التسليم بما يسلمه إليه المتكلم[22]، فالمعنى في استفهام الإنكار هو النفي نحو قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}[الأحقاف: 35]، فالاستفهام في قوله: "فهل يهلك إلا القوم الفاسقون"، بمعنى فلا يصيب العذاب إلا المشركين أمثالهم. وهو مستعمل في النفي، والتعبير بالمضارع في قوله: فهل يهلك على هذا الوجه لتغليب إهلاك المشركين الذي لما يقع على إهلاك الأمم الذين قبلهم[23].

والنظر في ذلك يدل على أن الاستفهام غير مقصود لحقيقته، فالخطاب القرآني لا يسأل إن كان الهلاك لغير القوم الفاسقين، وإنما يقرر ويؤكد أن عذاب الله المهلك لا يصيب إلا القوم

الفاسقين، لنفي إمكانية المساواة بين المؤمنين والفاسقين، فالتعبير بالمضارع يمثل لفتة ظاهرة لما فيها من قطع بإهلاك الله عز وجل للمشركين لكسر أفق توقعاتهم في النجاة لأن عذاب الله وإن تأخر فإنه لاحقهم. ويأتي التعبير عن النفي في سياق الاستفهام لتأكيد المعاني في ذهن المتلقي نحو قوله تعالى: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}[الروم: 29]، يقول القرطبي في ذلك: «(فمن يهدي من أضل الله) أي لا هادي لمن أضله الله تعالى»[24]، فهذه الآية تنفي الهداية لمن أضل الله عز وجل على سبيل التقرير والتأكيد، ولهذا جاء الاستفهام لتحقيق غاية النفي فاستبدال أداة النفي مكان أداة الاستفهام يُوَضِح هذا التأكيد أي لا يهدي من أضل، وفيه إثارة للذهن واستحضار لانتباه السامع فهذا الاستفهام يحمل إلى جانب النفي معنى التهديد والوعيد الذي يؤكد أن الظالمين الذين يتبعون أهواءهم لن يهتدوا أبدا، ويدعم ذلك إضافة إلى الاستفهام الذي يحمل في طياته معنى النفي جملة "وما لهم من ناصرين" التي تجعل الجملة الفعلية "يهدي من أضل" في معرض الحاصل الثابت فهذه الجملة الاسمية المنفية تُعطي دلالة قوية على تمام الحصول، والملاحظ أن هذا النزول بالمشركين والظالمين فيه صعود بالمؤمنين المتقين، لأن تقديم المسند (هم) على المسند إليه (من ناصرين) يَخُص المشركين بالضلال وعدم النصر.

- تعبيرية النفي بالاستثناء في القرآن الكريم:

حظي أسلوب الاستثناء بعناية البلاغيين واهتمامهم لمعانيه الراصدة ودلالاته المتعددة فهو من أشد الأبواب النحوية تفريعا وتفصيلا، ولاستخدامه بكثرة في القرآن الكريم نال استئثارا خاصا من قبل المفسرين فكان من الصعب الإلمام بمختلف مسائله، لذا سنحاول الإتيان ببعض الصور التي وردت فيها تعبيرية النفي بالاستثناء في القرآن الكريم محاولين بلوغ تلك الأبعاد البلاغية لهذا التلاحم الأسلوبي عن طريق عرض التراكيب النحوية لبعض الآيات التي تشتمل على جانب الاستثناء المنفي.

فالاستثناء لغة: «مصدر استثنى، تقول: استثنيت الشيء من الشيء إذا أخرجته، ويقال: حلف فلان يمينا ليس فيها ثنيا، ولا مثنوية، ولا استثناء، كله واحد، وأصل هذا كله من الثني والكف والرد لأن الحالف إذا قال والله لا أفعل كذا وكذا إلا أن يشاء الله غيره فقد ردَّ ما قاله بمشيئة الله غيره. والثنوة: الاستثناء. والثنيان، بالضم: الاسم من الاستثناء، وكذلك الثنوى، بالفتح. والثنيا والثنوى: ما استثنيته»[25].

والاستثناء في اصطلاح الفقهاء والأصوليين إما أن يكون لفظيا أو معنويا أو حكميا، فالاستثناء اللفظي هو: الإخراج من متعدد بإلا، أو إحدى أخواتها، ويلحق به في الحكم الإخراج

بـ: أَسْتَثْنِي وأخْرجُ ونحوهما على لفظ المضارع، وعرفه السبكي بأنه: الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها من متكلم واحد[26].وعرَّفَهُ الشريف الجرجاني (ت816هـ) بقوله: «الاستثناء: إخراج الشيء من الشيء؛ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا يتناول المتصل حقيقة وحكما، ويتناول المنفصل حكما فقط»[27].

إذن فالاستثناء هو إخراج المستثنى مِمَّا دخل فيه المستثنى منه ويقع في كل من الجملتين الفعلية والاسمية وتتنوع دلالاته الخاصة بحسب سياق الجملة.

وللاستثناء في العربية كثير من الأنواع والضروب ذات التسميات الكثيرة، التي جعلت منه بابا مستقلا بنفسه، فالاستثناء ينقسم إلى نوعين: قصر وحصر، ويشمل الموجب وغير الموجب والتام والمفرغ، فالاستثناء التام هو ما ذُكِر فيه المستثنى منه، نحو: حضر الرجال إلا عليا، وينقسم إلى التام المتصل وهو ما كان المستثنى فيه بعضا من المستثنى منه، والتام المنقطع وهو ما كان فيه المستثنى ليس بعضا من المستثنى منه، أما الاستثناء المفرغ هو ما لم يذكر فيه المستثنى منه، نحو: ما حضر إلا سالم[28].ولتجنب الدخول في تلك التفريعات العديدة سنقتصر على جانب الاستثناء المنفي بتعبيرية كل من القصر والحصر، فقضية إخراج المستثنى مما دخل فيه المستثنى منه هي بمثابة الشرارة التي قدحت في طريق البلاغيين ليكشفوا عن أسرار الاستثناء وعلاقته بأسلوب النفي ويهتدوا إلى نكته، ذلك حين لاحظ هؤلاء أن الاستثناء المنفي ذو مجال واسع الاستعمالات ويُعد أسلوبا حاسما في توكيد المعاني والتأثير في المتلقي فجملة الاستثناء تتضمن حكم الإثبات والنفي وهي بذلك تحوي قوتين دلاليتين.

- تعبيرية النفي بالقصر "الاستثناء التام غير الموجب":

يعتبر القصر من المباحث التي تخص علم المعاني، وهو من الأساليب التي اهتم بها البلاغيون لما له من قوة تأثيرية وجمالية يلقيها في السياق وقد « عرف علماء البلاغة القصر بأنه تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص»[29]، ومن طرائقه القصر بـ"إنما"، والقصر بالنفي والاستثناء، والقصر بالعطف، والقصر بالتقديم[30]، وهذا الاستثناء التام غير الموجب هو ما ذُكِر فيه المستثنى منه وكان مسبوقا بنفي وقد حدد عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن القصر المقام الذي يُستخدَم فيه النفي والاستثناء في القصر فقال: « وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و"إن هو إلا كذا"، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه. فإذا قلت: "ما هو إلا مصيب" أو: "ما هو إلا مخطئ"، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيد"، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون "زيدا"»[31].

وهذا يعني أن القصر بالنفي والاستثناء يستعمل في الأمر الذي يُنكره المخاطب فيكون اختيار القصر بالنفي والاستثناء اختيارا يتعلق بطبيعة المعنى وما يُفهَم منه، كما أن جملة القصر بهذا تحوي طاقة تعبيرية كبيرة من خلال هذا التوسع الدلالي الذي يزيد من فاعلية الخطاب، كما يحدد المختص بالحكم فيقتصر ذلك عليه، لتتميز جملة القصر بجمعها النفي والإثبات معا فإما أن تقصر الصفة على الموصوف أو تقصر الموصوف على الصفة، وتعبيرية النفي بالاستثناء التام غير الموجب قد وردت في العديد من المواضع من القرآن الكريم نحو قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: 51]، فاللام في قوله (إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا) تفيد معنى الاختصاص كأنه قيل: لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله به بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة[32]، حيث استُخدِم القصر بـ"إلا" لإثبات المقصور للمقصور عليه وإظهار اختصاص المقصور عليه "ما كتب الله" بالمقصور "الإصابة" دون غيره، فالمقصور عليه "ما كتب الله" يؤكد أن تجدد المواقف والأحداث التي يلقاها الإنسان هو مكتوب بقضاء الله وقدره قاصرٌ على ما يُصِيبُه من تبدل الأحوال وتغيرها، فجاءت "إلا" لِتُظهِر التمايز الكبير بين ظن الإنسان وبين ما كتبه الله له حقيقة، لأن ما يصادف الإنسان من خير وشر متكرِّر بما يجره عليه الدهر على سبيل القطع وهذا ما تدلي به جملة "لن يصيبنا" فلن تفيد النفي المستقبل قطعا، ولئلا يطمع من يؤمن بغير الله في النجاة والخلاص المطلق، ولهذا فإن هذا القصر بالنفي والاستثناء يثبت الإصابة التي كتبها الله عز وجل للإنسان وينفي ما دونها، فتَأَخر الفاعل "ما كتب الله لنا" باعتباره المقصور عليه وتَقَدَّم المفعول به الضمير المتصل "نا" في جملة "لن يصيبنا".

وقد يأتي المقصور عليه نائب فاعل كقوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[فصلت: 35]، في قوله "وما يلقاها" الضمير عائد على الفعلة والسجية التي هي الدفع بالأحسن فما يصادفها ويلقيها الله إلا لمن كان صابرا على الطاعات، صارفا عن الشهوات، ذا حظ عظيم من خصال الخير، حيث أخر نائب الفاعل "الذين صبروا" في الجملة الأولى ونائب الفاعل "ذو حظ عظيم" في الجملة الثانية، وكرر وما يلقاها تأكيدا لهذه الفعلة الجميلة الجليلة[33].

حيث نلمس في هذه الآية تشريفًا للموصوفين الذين تقصرهم على صفات الصبر والدفع بالأحسن والاتصاف بخصال الخير، ففي الجملة الأولى جاء المقصور عليه "الذين صبروا" على صيغة الجمع لدلالة على تعدد الشدائد والمشاق التي تصادف الإنسان وصعوبة الطاعات فكل إنسان يصبر على ما يُبتَلى به يكون مع هؤلاء المقصورين على الثواب، وفي جملة

"وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم" جاء المقصور عليه مفردا لتوكيد التفرد لأولئك المأجورين الذين ظلت المصاعب تتزايد في مواجهتهم ولم يضلوا السبيل حين اشتدت عليهم، فهذا الاستثناء المتصل أفاد قصر الصفة على الموصوف حيث نلحظ في جملة "ما يلقاها" إظهار الطمأنينة للصابرين ودوامها لهم وهذا ما تُلقي به دلالة الفعل المضارع "يُلقاها" بقصره لقاء الأجر العظيم على الصابرين ولذلك تقدم المفعول به الضمير المتصل بالفعل يُلقاها على نائب الفاعل في كلتا الجملتين للتأكيد على اختصاصهم به.

كما يقع المفعول به مقصورا عليه كقوله تعالى: فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا} [نوح: 06]، فمعنى "لم يزدهم دعائي إلا فرارا" أن دعائي لهم بأن يعبدوا الله وبطاعتهم لي لم يزدهم ما دعوتهم إليه إلا بعدا منه، فالفرار مستعار لقوة الإعراض، أي فلم يزدهم دعائي إياهم قربا مما أدعوهم إليه.

واستثناء الفرار من عموم الزيادات استثناء منقطع. والتقدير: فلم يزدهم دعائي قربا من الهدى لكن زادهم فرارا، وإسناد زيادة الفرار إلى الدعاء مجاز لأن دعاءه إياهم كان سببا في تزايد إعراضهم وقوة تمسكهم بشركهم[34].حيث يؤكد الخطاب زيادة فرار المشركين أثناء دعائهم، بتأخير المفعول الثاني للفعل يزدهم "فرارا" بعد أداة الاستثناء باعتباره المقصور عليه، فهو من قصر الموصوف على الصفة، فقد نفى نبي الله عن قومه أي استجابة أثناء دعائه لهم إلا الفرار.

والذي نستشفه أن قصر الموصوف على الصفة في هذه الجمل الفعلية يتناسب مع دلالة المعاني ذلك أن قصر الموصوف على الصفة ذميمة كانت أو حميدة تُؤَكَد عن طريق القصر بالتجدد والدوام.

أما في الجمل الاسمية فنجد القصر على المبتدأ في العديد من المواضع نحو قوله تعالى: { مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ}[المائدة: 99]، فالمقصور عليه هو المبتدأ المؤخر "البلاغ" والقصر ليس حقيقياً لأن على الرسول أمورا أخرى غير البلاغ مثل التعبد لله تعالى، والخروج إلى الجهاد، والتكاليف التي كلفه الله بها مثل قيام الليل، فتَعَيَّنَ أن معنى القصر: ما عليه إلا البلاغ، أي دون إلجائكم إلى الإيمان، فالقصر إضافي حيث لا ينافي أن على الرسول أشياء كثيرة[35].فالغاية التي على الناس أن يرجوها من الرسول صلى الله عليه وسلم مقصورة على بلاغهم أمور دينهم، وهذا القصر الإضافي يُوضِح حال الرسول صلى الله عليه وسلم مع الناس فمُهِمَتُه لا تتعدى بلاغهم إلى شق صدورهم وحَملِها على الإيمان، كما أن قصر مهمته على البلاغ لا ينفي أن تكون له وظائف أخرى، وقد ورد الخبر "على الرسول" بعد أداة

النفي"ما" لإثبات نفي غير هذه المهمة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولتأكيد اختصاصه بالبلاغ، تنبيها للمخَاطب على أن الإيمان بالله عز وجل أمر غيبي وأن من آمن فلن ينفع إلا نفسه ومن كفر فلن يَضر إلا نفسه.

ومن القصر على اسم كان قوله تعالى: {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأعراف: 05]، حيث قُدِم خبر كان وأُخِر اسمها لغرض القصر عليه، جاء في الكشاف: «فَما كانَ دَعْواهُمْ ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده. وقولهم إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ فيما كنا عليه. ويجوز: فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا، لأنه لا مستغاث من الله بغيره، ومن قولهم دعواهم: يا لكعب. ويجوز، فما كان دعواهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم، وأن لات حين دعاء، فلا يزيدون على ذمّ أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم، دَعْواهُمْ نُصِب خبر لكان، وأَنْ قالُوا رُفِع اسم له»[36].

فالمقصود قصر دعائهم على مقالتهم "إنا كنا ظالمين" وذلك من قصر الموصوف على الصفة، فضمير الفاعل (الاسم) في (كنا ظالمين) وهو عائد على المتكلمين، مقصور على صفة الظلم والندم عليه بعد رؤية عذاب الله عز وجل، ويجلي هذه الصورة بوضوح جملة "إذ جاءهم بأسنا"، فظُلم هؤلاء لم يعُد مقصورا على ظلم الآخرين دون استثناء بل تعدى بذلك إلى ظلمهم أنفسهم فكان التحسر منهم لِما جروه لأنفسهم، ولما لم يدركوا ذلك قبل فوات الأوان ندموا ندما شديدا، فكان التقديم لخبر كان (فما كان دعواهم) التي تؤكد أن لا رجاء ولا سبيل لهم للنجاة إلا الاعتراف والاستغاثة، والتأخير لاسمها للتأكيد على اعترافهم وتمهيدا للقطع بالتخصيص الذي يحمله قصر الموصوف "الدعاء" على صفة "الظلم" التي تُوضِحُها بصورة جلية علاقة التلازم بين العمل وجزائه، فلا دعاء لمن أسرف في الظلم حين يأتي بأس الله عز وجل إلا الاعتراف بذلك والتحسر عليه.

وأشار الطاهر بن عاشور أن تأخير اسم كان قصد القصر عليه يجري على نظائره في القرآن وكلام العرب في كل موضع جاء فيه المصدر المؤول من أن والفعل محصورا بعد كان، نحو قوله تعالى: {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}[الأعراف: 82]، وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا} [آل عمران: 147] وغير ذلك، وهو استعمال ملتزم، غريب، مطرد في كل ما وقع فيه جزءا الإسناد ذاتين أُرِيد حصر تحقق أحدهما في تحقق الآخر، ففي مثل هذه الآية " فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين" اعتبر قولهم هو المترقب من السامع للقصة ابتداء، واعتبر الدعاء هو المترقب ثانيا، كأن السامع يسأل: ماذا

قالوا لما جاءهم البأس، فقيل له: كان قولهم: إنا كنا ظالمين دعاءهم، فأفيد القول وزيد بأنهم فرطوا في الدعاء، وهذه نكتة دقيقة[37].

هذا عن القصر بالنفي والاستثناء فقد يأتي القصر في القرآن الكريم بطرائقه العديدة، ومن هذه الطرائق القصر بـ"إنما" حيث عدها البلاغيون من الطرائق المهمة في ذلك، فقد أفرد عبد القاهر الجرجاني بابا خاصا بالقصر والاختصاص بـ"إنما" يؤكد فيه أهميتها ويُوضِح فيه قيمتها الدلالية من خلال مقارنة رأيه برأي النحاة يقول: «قال الشيخ أبو علي الفارسي في الشيرازيات: يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأعراف: 33]، إن المعنى: ما حرم ربي إلا الفواحش...اعلم أنهم وإن كانوا قد قالوا هذا الذي كتبته لك، فإنه لم يعنوا بذلك أن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وأن سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد. وفرق بين أن يكون في الشيءِ معنى الشيءِ، وبين أن يكون الشيءُ الشيءَ على الإطلاق، يُبيِّنُ لكَ أنَّهما لا يكونان سواءً أنه ليس كلُّ كلامٍ يصلُحُ فيه "ما" و"إلاَّ"، يصلحُ فيه "إنما". ألاَ تَرى أنها لا تَصْلُح في مثلِ قولِه تعالى: {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ}[آل عمران: 62]»[38].

فالجرجاني بهذا يُوضح الاختلاف بين رأيه ورأي النحاة بالمقارنة بين المعاني، فهو يرى أنه ليس كل كلام تردُ فيه (ما) و(إلا) يُمكن استبدالها فيه بـ (إنما) وهذا الرأي قد بناه احتكاما إلى الدلالة الأسلوبية التي يُلقِي بها الخطاب، بعكس ما يُعَوِلُ عليه النحاة أي الدلالة النحوية للخطاب، وهو بذلك يرفض تقليلهم من قيمتها الأسلوبية، وقد علمنا أن أسلوب القصر بالنفي والاستثناء يأتي لمخاطبة المنكر للخطاب والشاك فيه كما ذكر الجرجاني، فاختلاف المقام من بين الفروق التي اعتمدها لتوضيح الفرق بين استخدام (ما) و(إلا) واستخدام (إنما) فهو قد ذكر أنها تفيدُ في الكلام بَعْدَها إيجابَ الفعلِ لشيءٍ، ونَفْيَه عن غيرِه، ومزيَّتها هي أنَّك تعقِلُ معها إيجاب الفعل لشيءٍ ونفْيَه عن غيرِه دفعةً واحدةً في حالٍ واحدةٍ، وهذا يعني أن لدلالة أداة الاستثناء (إنما) قدرة على التصرف في الأسلوب بحسب مجراها فيه، فهي تُفيد النفي والإثبات أي إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فتكون استعمالاتها مما يعلمه المخاطب ولا يُنكره بخلاف القصر بالنفي والاستثناء، ورأى السكاكي (ت 626هـ) أن السبب في إفادة إنما معنى القصر هو: « تضمينه معنى ما وإلا ولذلك تسمع المفسرين لقوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّه}[البقرة: 173] بالنصب، يقولون معناه ما حرم عليكم إلا الميتة والدم وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم على الميتة والدم بسبب أن ما في قراءة الرفع يكون موصولا صلته حرم عليكم واقعاً اسما لإن ويكون المعنى أن المحرم

عليكم الميتة»[39]، فهذا القول يعني أن السكاكي يُعَول على الجانب الإعرابي لتحديد الفرق بين استعمالات (إنما) واستعمالات (ما) و(إلا)، وهو ما استدل به القزويني (ت739هـ) أي بقول النحاة (إنما) لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه، ولصحة انفصال الضمير معها كقولك "إنما يضرب أنا"، كما تقول "ما يضرب إلا أنا"[40].

ونجد للفخر الرازي في ذلك رأيا بصيرا يقع فيه على الجانب الدلالي الأسلوبي لهذا الاختلاف بين الاستعمالين ويجني منه نتيجة تعدت مجرد الوقوف على الحدود النحوية حيث يرى في قوله تعالى: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ} [المائدة: 117]، ليس المعنى أني لم أزد على ما أمرتني به شيئا، ولكن المعنى أني لم أدع ما أمرتني به أن أقول لهم، فهي موضوعة في الأصل لنفي التشريك، ودليل ذلك أنه لا يصِح أن يُقال: ما زيد إلا قائم، لا قاعد، ويصح أن يُقال: إنما زيد قائم، لا قاعد، وأما صيغة (إنما) فهي بأصل وضعها تدل على تخصيص الحكم بالمذكور، وأما نفي الشِّركة فليس ذلك نفس مفهومها، بل لازما من لوازمها، وليس ما يدل عليه النفي بوضعه كحال ما يدل عليه بطريق اللزوم، فالقول: "إنما جاءني زيد" دلالته على إثبات التخصيص أقوى من دلالته على نفي التشريك[41]، فالرازي يُعَوِل لتحديد المراد من التركيب على المقام والقرائن، ويحكم بذلك بأن إفادة (إنما) التخصيص وإفادة (ما) و(إلا) هي نفي التشريك.

وفي هذه الجهود المبذولة من قبل البلاغيين قَصْدَ بلوغ الدلالة الخاصة بهذه الطريقة من القصر يقول أبو موسى: « والذي ذكره البلاغيون في إنما يكاد يرجع في جوهره إلى محور واحد هو أن النفي فيها نفي متضمن مخبوء وخافت، فليس له من الجهارة ومن القوة ما للنفي في (ما) و(إلا) وترتب على ذلك أنه صح أن تجامع (لا) العاطفة التي لا يُنتفى بها شيء قد نفي قبلها بغيرها، لأن النفي مع (إنما) ليس نفيا صريحا»[42]، وهذا يعني أن للأداة (إنما) طابعا تأكيديا في النفي ما يجعلها جديرة بالتأمل لبحث تمام الفائدة من خصوصياتها المذكورة.

وقد يأتي القصر جوابا لمخاطب يجهل النبأ فعلاً في القرآن الكريم ليُنزَل منزِلة من يعلمه نحو قوله تعالى: {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: 18، 19].يريد عليه الصلاة والسلام إني لست ممن يتوقع منه ما تَوهمتِ من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به، وقوله: رسول ربك الغاية منه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتسليتها والإشعار بعلة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها[43].

فهذا الجواب "إنما أنا رسول ربك" يُبدي مريم عليها السلام في صورة كريمة ويُظهر أدب سؤالها وقوة إيمانها على سبيل الاستئناس، فهي وإن لم تعرف رسول الله إليها إلى أنها نزلت منزلة غير الجاهل لما ألِفت من معجزات الله عز وجل فلا ينبغي لها أن تجهل حفظ الله لها من أي مكروه، فقصَر رسول الله إليها نفسه على الرسالة التي أمره الله بهامن وهبها غلاما زكيا، وذلك من قصر الموصوف على الصفة وبهذا يمكن إدراك قيمة الصفة التي عَمِد رسول الله إليها إبرازها حيث تُتِم الفكرة في ذهن المتلقي فجملة "قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا" تجعل جملة "إنما" تعليلا وتفسيرا لهذه الجملة السابقة، فمريم عليها السلام حين تتعوذ بالله عز وجل منه، تُعلل لذلك بأن الله عز وجل سيحفظها وما تلقى إلا من كان مبعوثا من عنده.

ومن المواقع التي تُستعمَل (إنما) لإلقاء معانيها الخافية فيها "دلالة التعريض" وقد أشاد عبد القاهر الجرجاني بذلك قائلا: «اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، نحو أنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى: {إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ} [الرعد:19]،[الزمر:09]، أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يُذم الكفار، وأن يُقال إنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم، في حكم من ليس بذي عقل، وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا، كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب»[44].

وهذا يعني أنها بدلالة التعريض تنقل السياق من المعنى المباشر الذي دخلت عليه إلى معنىً باطن يتولد من خلال العلاقة القائمة بين هذين المعنيين، ليكون بذلك التركيب رحبا متميزا، فلا يكون معنى الكلام بعدها هو المقصود بل التعريض بأمر خاص يتضمنه هذا المعنى، وهذه الدلالة لـ "إنما" كثيرة في القرآن الكريم، فتَأمُل النص القرآني والبحث في معناه وتعميق النظر في سياقه يعمل على تحديد الغاية من استخدام (إنما) فيه وهذا ما عمِل عبد القاهر الجرجاني على توضيحه فأسلوب التعريض الذي ذكره في قوله تعالى: "إنما يتذكر أولو الألباب" والذي تسُوقُه إنما يختفي بمجرد إلغائها يقول في ذلك: « ثم إن العجب في أن هذا التعريض الذي ذكرت لك، لا يحصل من دون "إنما". فلو قلت: "يتذكر أولو الألباب"، لم يدل ما دل عليه في الآية، وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه، وليس إلا أنهن ليس فيه "إنما" والسبب في ذلك أن هذا التعريض، إنما وقع بأن كان من شأن "إنما" أن تضمن الكلام معنى النفي من بعد الإثبات، والتصريح بامتناع التذكر ممن لا يعقل. وإذا أُسقِطت من الكلام فقيل: "يتذكر أولوا الألباب"، كان مجرد وصف لأولي الألباب بأنهم يتذكرون، ولم يكن فيه معنى نفي للتذكر عمن ليس منهم»[45].

- **تعبيرية النفي بالحصر:** وهو ما لم يُذكر فيه المستثنى منه بخلاف الاستثناء التام وكان مسبوقا بنفي، فلا يجوز وقوعه في الموجب حيث لا يصح القول: حضر إلا خالد، لأن المعنى حضر جميع الناس إلا خالدًا وهو باطل، ولذلك كان للنفي دور كبير في تحديد وظيفة المستثنى وإفادة معنى الحصر(حصر الفاعل أو المفعول)[46].

وكثيرًا ما نجد لفظة الحصر عند من استخدموها غير مخالفة لمفهوم القصر، وذلك لاشتراك كل من القصر والحصر في طريقة الاستثناء بـ"ما" و"إلا"، ومن الذين عدوا لفظة الحصر مرادفة للقصر الزملكاني حيث يقول: «وليس الحصر الذي ذكرناه بمناف لما سلف من إفادتها قصر الشيء على حكم تارة، وقصر الحكم على شيء آخر عند المتأمل»[47]، ويقول صاحب الطراز في ذلك: « اعلم أن «ما» و«إلا» إذا تركبا في الكلام فإنهما يفيدان الحصر لا محالة، إما في الأسماء، وإما في الصفات»[48].لكن الجرجاني قد ذكر الوجه البلاغي لإرادة الحصر حيث تحصل الإفادة بإرادة الاختصاص يقول: «وههنا، إذا تأملت، معنى لطيف يُوجِبُ ذلك، وهو أنك إذا قلت: ما ضرب زيدا إلا عمرو، كان غرضك أن تختص عمرا بضرب زيد، لا بالضرب على الإطلاق وإذا كان كذلك، وجب أن تُعدِّي الفعل إلى المفعول من قبل أن تذكر عمرا الذي هو الفاعل، لأن السامع لا يعقل عنك أنك اختصصته بالفعل مُعَدًّى حتى تكون قد بدأت فعديته...فاعرفه أصلاً في شأن التقديم والتأخير»[49]، يشير الجرجاني بذلك إلى ضرورة تأمل القول لأن دلالة التركيب تختلف باختلاف موقع المقصور عليه وموضعه بعد "إلا" تقدم أو تأخر، ما يُحدِث تغييرا كبيرا على المعنى ويحتاج إلى استشعار حاجة السامع، فالاختصاص في الفاعل يتطلب ذكره بعد الأداة وذكر المفعول قبلها. ففي الاستثناء المفرغ يأخذ المستثنى الحكم الإعرابي للمستثنى منه باعتباره محذوف والذي يُقَدَّر ليُحافِظ التركيب على معنى الإخراج، حيث أن المستثنى منه: وهو المخرج منه، إذا كان مذكوراً نحو: قام القوم إلا زيداً، أو متروكاً نحو: ما قام إلا زيد، أي: ما قام أحد، شرطه ألا يكون مجهولاً؛ فلا يصح استثناء معلوم من مجهول، نحو: قام رجال إلا زيداً، ولا استثناء مجهول من مجهول، نحو قام رجال إلا رجلاً. لأن فائدة الاستثناء إخراج الثاني من الأول، لكونه لو لم يستثن لكان ظاهره أنه داخل فيما دخل فيه الأول، وإذا كان المستثنى منه مجهولاً لم يكن كذلك[50].

هذا يعني أن تَسَلُّط النفي في الحصر يكون على المستثنى منه ويُخرُج المستثنى من هذا النفي ليُثبَت الشيء المذكور له، فالمعنى الجوهري الذي يتَولد من تركيب الحصر هو النفي ليكون الإثبات بعده متمما للمعنى، وهذا ما رمى إليه السيوطي حين رأى أن القول: "ما قام إلا زيد"، صريح في نفي القيام عن غير زيد دلالةً بالمنطوق في المعنى الباطن، في حين ظاهره يقتضي

إثبات القيام لزيد بالمفهوم لأن "إلا" موضوعة للاستثناء وهو الإخراج فدلالتها على الإخراج بالمنطوق لا بالمفهوم[51].وقد وقع هذا النوع من الاستثناء في العديد من المواضع في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}[البقرة: 09].والحال أنهم ما يُضِرون بذلك إلا أنفسهم فإن دائرة فعلهم مقصورة عليهم أو ما يخدعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يغرونها بالأكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى[52].الواضح أن إفادة الحصر في هذه الآية تدل على التخصيص، فالخطاب القرآني وهو يكشف مكر وخداع المنافقين يخصهم بمآل هذا المكر وأذيتهم لأنفسهم به وهم لا يشعرون، والحصر واقع في المفعول به حيث انحصر الخداع فيهم فلا يتعداهم إلى غيرهم وجاء المقصور عليه معرفا بالإضافة وذلك يزيد من تخصيص الموصوفين بصفة الخداع لأنفسهم ويؤكد انحصارها فيهم واقتصارها عليهم. لأن الفعل لما كان وصفا للفاعل اضطر العلماء أن يأخذوا من الفعل اسم مفعول ويجعلوه نفس الصفة فيكون القصر حينئذ من قصر الصفة على الموصوف، وصفة المفعول به إنما تكون اسم مفعول لأن الحدث لم يقع منه وإنما وقع عليه فكان قوله: "وما يخدعون إلا أنفسهم"، أي ما مخدوعهم إلا أنفسهم، وهكذا تؤول الصفة لتتلاءم مع الموصوف[53].

ومن أمثلة الحصر كذلك قوله تعالى: {فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِين}[الأحقاف: 25]، أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى إلا مساكنهم وقرئ تُرى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل أحد يتأنى منه الرؤية تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها إلا مساكنهم[54]، حيث قُصِرت الرؤية على هذه المساكن فقط فلا تُخَصُ الرؤية بشيء غيرها، لإطلاق الدلالة على شدة الدمار وسوء العذاب، هذا ما تؤكده جملة "كذلك نجزي القوم المجرمين" أي أن من سار على إثرهم يَسُومه الله سوء العذاب ويحيق به ما لحق بهم، وقد ذكر الخطيب القزويني أن ما يؤكد تسلط النفي وتوجهه في الاستثناء المفرغ إلى مقدر هو مستثنى منه عام مناسب للمستثنى في جنسه وصفته، أنه قيل: تأنيث المضمر في "كانت" على قراءة أبي جعفر المدني: "إن كانت إلا صيحة واحدة"[يس:29] بالرفع، وفي "تُرى" مبنيا للمفعول في قراءة الحسن: "فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم"[الأحقاف: 25] برفع {مَسَاكِنُهُمْ}، لاقتضاء المقام معنى شيء من الأشياء[55]، فتقدير المستثنى منه لا يُرى أثار أو لا تُرى أثار وهذا ما يُسهم في بلوغ دلالة هذا الحصر ذاك أن ليس للتركيب معنى إلا بإثبات ما نُفِي عن المستثنى منه المقدر والإثبات يكون بمعرفة جنس هذا المستثنى منه، وذِكر المستثنى "مساكنهم "يُسهم في ذلك فإخراج المستثنى من حكم النفي جعله

يُمثل نائب الفاعل أي المستثنى منه المحذوف وهذا أساس الفائدة للاستثناء أي الإخراج من دائرة النفي للاختصاص بهذا الحكم.

وقد ورد الاستثناء المفرغ في القرآن الكريم عن طريق النفي الضمني نحو قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الإسراء: 89].يقول الزمخشري في ذلك: «والكفور: الجحود فإن قلت: كيف جاز فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ولم يجوز ضربت إلا زيدا؟ قلت: لأن أبى متأوّل بالنفي، كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفورا»[56].حيث ورد النفي بالفعل الماضي "أبى" لغاية تبيان الجواب القطعي لأكثر الناس على ما جاءهم من آيات في كتاب الله عز وجل، فلفظ "أبى" في هذه الآية يحمل تلك الدلالة القاطعة على الإنكار والجحود لأن النفي الضمني يحمل دلالة الإثبات المطلق الذي لا يعترضه نفي، وقد جاء تأكيد نفي صفة الرضا عما جاء في القرآن الكريم من أمثال بلفظة "كفورا" التي تدل على عمق وشدة الإنكار من الناس وتؤكد صفة الإصرار على الكفر، حيث أتى المستثنى مؤكدا لمعنى المستثنى منه، فالكفور يحمل دلالة أخص من دلالة الجواب المطلق أي المفعول الذي حذف.

من خلال هذه التحليلات تبدو لنا ظاهرة التحويل الدلالي في أساليب النفي للخطاب القرآني ملمحًا أسلوبياً فريداً، فتعبيرية النفي بالاستفهام والاستثناء تجعل التعبير حيّاً موحيا يُخاطب عقول المتلقين وقلوبهم فيؤثر فيها، كما يتقرر لنا أن الخطاب القرآني يُولِي أهمية لتناول الفكر للمعنى وتناول الوجدان له فيدمجهما، فالجمل المتضافرة تشكل لحمة فكرية تُعبر عن أفكار مؤثرة.

مراجع البحث وإحالاته:

[1]- محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر: تونس: 1992، ص: 128.

[2]- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة - مصر، 4/ 433.

[3] - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 348/2.

[4] - ينظر: إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، الطبعة الثالثة: 1986م، دار العلم للملايين، بيروت.ص387.

[5]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 4/ 403.

[6] - المصدر نفسه: 178/4.

[7] - ينظر: إيميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، الطبعة الأولى: 1427هـ/ 2006م، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، 10/1.

[8]- ينظر: عبد العاطي غريب علاّم، دراسات في البلاغة العربية، الطبعة الأولى- 1997م، منشورات جامعةقار يونس بنغازي، ليبيا، ص: 43، 44.

[9]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، الطبعة الثالثة: 1413هـ - 1992م، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، 111/1.

[10]- ينظر: المرجع نفسه، 1 /113.

[11]-الزمخشري، الكشاف، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407هـ، 2/ 668.

[12]- أبو عبد الله محمد بن عمر، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الطبعة الثالثة: 1420هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 345/20.

[13]- التفريع عند البلغاءأن يُثبِتَ لمتعلّق أمرُ حكم بعد إثباته لمتعلّق له آخر على وجهٍ يُشْعِر بالتفريع والتعقيب.ينظر: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 491/1.

[14]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 107/15.

[15] - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان، 118/1.

[16] - ينظر: التحرير والتنوير، 572/1.

[17] - ينظر: محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، ط 4 ، 1429هـ/2008م، مكتبة وهبة، القاهرة، ص: 220، 221.

[18] -ينظر: تفسير أبي السعود، 290/3.

[19] - ينظر: التحرير والتنوير، 75/8.

[20] - ينظر: تفسير أبي السعود، 255/7.

[21] - فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها- علم المعاني، ط12، 2009م، دار النفائس- عمان (الأردن)، ص206.

[22]- ينظر: هند بنت عبد الرزاق المطيري، النفي في نقائض جرير والفرزدق، طبعة الأولى 1429هـ/2008م، مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض،.نقلاً عن أساليب النفي في القرآن الكريم لمصطفى النحاس، مؤسسة علي جراح الصباح الكويت، 1979م، ص 485.

[23] - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 69/26.

[24] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية 1384 هـ، 1964م، 23/14.

[25]- أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، الطبعة الثالثة - 1414 هـ، دار صادر، بيروت، لبنان، 125/14.

[26] -ينظر: الموسوعة الفقهية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت: 11/ 97، عدد الأجزاء: - 45 جزءا، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ).. الأجزاء: (1 – 23): الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت.. الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر.. الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة، 148/3.

[27]-الشريف الجرجاني، التعريفات، تحق جماعة من العلماء، الطبعة الأولى 1403هـ- 1983م، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ص: 23.

[28] - ينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، الطبع الأولى: 1420هـ/ 2000م، دار الفكر، عمان، الأردن212/1، 213.

[29] - فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، 1989م ص: 372.

[30] - ينظر: معاني النحو، 213/1.

[31] - دلائل الإعجاز: 332/1.

[32] - ينظر: الكشاف، 278/2.

[33] - ينظر: البحر المحيط، 307/9.

[34] - ينظر: التحرير والتنوير، 194/29.

[35] - ينظر: المصدر نفسه، 61/7، وينظر: عون أبو القاسم، بلاغة التقديم والتأخير، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، الطبعة الأولى2006م، 1094/3.

[36] - الكشاف: 88/2.

[37] - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 25/8.

[38] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: 328/1، 329.

[39] - السكاكي، مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، الطبعة الثانية، 1987م دار الكتب العلمية، بيروت، 291/1.

[40] - ينظر: جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، 26/3.

[41] - ينظر: فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحق: نصر الله حاجي مفتي أوغلى، دار صادر-بيروت، الطبعة الأولى1424هـ-2004م، ص: 229.

[42] - دلالات التراكيب: ص 154، 155.

[43] - ينظر: إرشاد العقل السليم، 260/5.

[44] - دلائل الإعجاز: 354/1.

[45]-دلائل الإعجاز: 356/1، 357.

[46] - ينظر: معاني النحو، 213/2.

[47] - الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي، ص42، عن البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، الزملكاني.

[48] - يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، ط1، 1423هـ، 2 /214.

[49]- دلائل الإعجاز: 350/1.

[50] - ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992 م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 511/1، 512.

[51] -ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،1394هـ/ 1974 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 177/3.

[52] - تفسير أبي السعود: 41/1.

[53]-ينظر: محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص99.

[54] - تفسير أبي السعود: 86/8.

[55]- ينظر: جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، دار الجيل – بيروت، 42/3.

[56] - الكشاف: 692/2.